الفصل الرابع

(استقرار العرب واستيطانهم في بلاد الاندلس)

البلديون:

سارت عملية استقرار العرب جنباً الى جنب مع عملية الفتح كان كل من طارق وموسى يتركـــان حاميات عسكرية في المناطق المفتوحة اذ شكلت نواة للمستقرين المسلمين كان هؤلاء يتكونون من العشائر العربية اليمنية وقلة من قبائل اخرى مثل (ربيعة) و(مضر) والعشائر البربرية وقد عُرف هؤلاء بـ (بالبلديين) لانهم عدوا انفسهم المالكين الحقيقين للبلاد . وهذه هي المجموعة الاولى التي دخلت الى الاندلس اما المجموعة الثانية التي دخلت بعد فترة وجيزة من الفتح وتتألف من العشائر (الشامية) التي عبرت شمال افريقيا اثر تمرد البربر في المغرب وسمي هؤلا بالشاميين او (طالعة بلج بن بشر القشيري) الذي تزعمهم في عبورهم الى البلاد وباستثناء هاتين المجموعتيـــن فأن عددالعرب الداخلين الى الاندلس بعد ذلك كان قليل ويتكون هؤلاء من بعض الافراد الذين عبروا بصورة منفردة ومن الحرس الذين را فقوا الوالي الحربن عبد الرحمن الثقفي وكذلك بعض الرجال الذين عبروا مع ولاة آخرين مثل السمح بن مالك الخولاني وابو الخطار الكلبي .

بالنسبة للبلديين فقد كان استقرارهم على امتداد الطريق الذي سلكه طارق وموسى اثناء عمليـــة الفتح ولم يستقر هؤلاء تبعاً لترتيبات وضعها موسى بل ان الاستقرار بل ان الاستقرار جاء تبعاً للصدفة وفي المناطق التي مرت بها الحملات العربية وان ذلك ينطبق على العرب والبربر على حد سواء وليس هناك صحة لما يروجه بعض المستشرقين من ان العرب لم يكونوا عادلين فـــي قسمتهم للارض واعطوا البربر المناطق الجبلية القاحلة وخصوا انفسهم بالسهول الخصبـــة . ان عملية الاستقرار خضعت للصدفة لا غير كما ان البربر كانوا اكثر اطلاعاً على المنطقة ولهـذا كانوافي موقف افضل لاختيار احسن المناطق لاستقرارهم ويمكننا ان نعزو اختيارهم للمناطـــق الجبلية الى انهم عاشوا في الاصل في مناطق جبلية في شمال افريقيا ولهذا فأنهم استقروا فـــي مناطق تشبه مناطق استقرارهم الاصلية . وبنتمي البربر الى مختلف القبائل البربرية .

<u>الشاميون :</u>

هؤلاء بالاصل من القبائل العربية في بلاد الشام الذين ارسلهم الخليفة (هشام بن عبد المـــلك) للقضاء على تمرد البربر في شمال افريقيا وكان يقودهم (كلثوم بن عياض القشيري) وعددهم (٣٠٠٠٠) رجل وقد استطاع البربر هزيمتهم وحاصروهم وقتلوا زعيمهم (كلثوم) فتولى قيادتهم ابن أخيه (بلج بن بشر) فألتمس بشر من والي الاندلس في تلك الفترة (عبد الملك بن قطن الفهري) في ولايته الثانية التمس منه ان يسمح له ولرجاله عبور الاندلس فرفض الوالي ذلك لانه كان يخشى هو وكبار رجال البلديين دخولهم واحتمال ابعاد بلج لعبد الملك بن قطن عن ولايته .

كما انهم لايسمحون بأستقرار اعداد اخرى من اجند في ارضهم وقد منع عبدالملك بن قطن ارسال أي معونات لهم وعاقب بشدة الذين تجرءوا على ذلك ولكن تطورات الاحداث في الاندلس واضطر عبد الملك الى تغيير رأيه فقد ادت ثورة البربر في شمال افريقيا الى اثارة بربرالاندلس ايضاً للتمرد على العرب وقد فشلت القوات العربية في اخماد هذا التمرد عندما ادرك عبد الملك بن قطن انه لايمكن التغلب عليهم الا بمساعدة الشاميين . وسمح لهم بالدخول الى الاندلس وفقاً لشروط معينة منها ان يغادروا البلاد بعد سنه واحدة بعد ان يكونوا قد هزموا البربر . فعبر هؤلاء وبعد هزيمتهم للبربر رفضوا ان يغادروا البلاد من هنا بدأ صراع مرير بينهم وبين البربر واستمر حتى مجيء الوالي (ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي) الذي كان عليه ان يجد جواً مناسباً لاستقرار الشاميين ولم تكن هذه بالمهمة السهلة لان قرطبة كانت قد ازدحمت بالبلديين وهم يطالبون بأنسحاب الشاميين ولم يكن امام الوالي الا ان يمنحهم اقطاعات من الارض لم يستقر فيها البلديين في كور معينة من الاندلس وقد تم توزيعهم على غرار توزيعاتهم السبعة في بلاد الشام أي نظام (الجند) وقد غير وصول

الشاميين موازين القوى لصالح المسلمين .كان اهم تنظيمات ابي الخطار ان يكون للشاميين ثلثا الاراضي التي يستقرون فيها ويبقى الثلث الاخر للسكان المحليين ولم يكن الشاميون مطالبون بأية التزامات سوى الخدمة في الجيش وكانوا معفيين من اداء العشور عن اراضيهم بينما لم يُعفَ البلديين من الضريبة وفي العهود اللاحقة في فترة الامارة وعصر الخلافة فأن الشاميين حصلوا على امتيازات آخرى على حساب البلديين الذين فقدوا بالتدريج سيادتهم الاولى على البلاد بدخول الشاميين وتألف الشاميون من (٨٠٠٠)عربي (٢٠٠٠) من الموالي وينتهي العرب فيهم الى مختلف قبائل اليمن ، ومضر ، وربيعة اما الموالي فكانوا ينتمون الى اصول بيزنطية او بربرية وشمال افريقية وقد سمي الموالي الذين دخلوا مع الشاميين بالموالي الشاميين كانوا على اتصال وثيق مع الاسرة الاموية

(الفصل الخامس)

(عصر الامارة الاموية في الاندلس)

دخول عبدالرحمن بن معاوية الى الاندلس وتأسيس الامارة الاموية :

ويبدأ هذا العصر منذ اعلان عبد الرحمن الامارة سنة (١٣٨هـ) حتى قيام الخلافة الاموية سنة (٣١٦هـ)

انتقلت الخلافة اثر نجاح الثورة العباسية من الامويين الى العباسيين عام (١٣٢هـ /٧٥٠م) بعـد ذلك بدأ العباسيون بسلسلة من اعمال القتل والتنكيل استهدفت كل افراد البيت الاموي اينما وجدوا فقتل الكثير منهم ومُثل بهم ولم ينجُ من هذه المذابح الا القليلين من افراد البيت الاموي وكان يحيى وعبد الرحمن حفيدا الخليفة (هشام بن عبدالملك) من الناجين الا ان العباسيين استطاعوا فيما بعد ان يقبضوا على يحيى ويقتلوه اما عبد الرحمن فقد استطاع الهرب هو واخيه الاصغر الذي قتلـــه العباسيون فيما بعد وقد قرر عبد الرحمن بعد هذه الاحداث التوجه الى المغرب فلما وصل فلسطين لحق به مولاه بدر ومولى اخته سالم ابو شجاع وكان الاخير على اطلاع ومعرفة بمناطق الشمال الافريقي وقد غادر عبد الرحمن ورفيقاه الى مصر ومنها الى افريقية حيث لم تكن سلطة العباسيين قد اعترف بها بعدهناك كذلك كان افراد البيت الاموي ممن فروا من العباسيين قد لجؤوا الـــــى افريقيا لكن هذا المكان لم يكن ملائماً للجوء لان الوالي الاموي عبد الرحمن بن حبيب الفهري كان يحكمه وهــو لم يعترف بسلطة العباسيين لانه حاول الاستقلال بالحكم ولهذا كان قلق جداً لوجود العديد مـــن الامراء الامويين في بلاده وقد عمل على ابادة العديد منهم هذا مادفع عبد الرحمن للاختفـــــاء عندقبائل البربر حيث تنقل من مكان الى آخر مايقرب من (٥) سنوات فأقام عند قبيلة مكناســـة

كما حصل على تأييد قبيلة نفزة وهم اخواله حيث كانت امه سبية بربرية من قبيلة نفزة كـــذلك حصل على تأييد قبيلة زناته ومغيلة

الاوضاع في الاندلس قبيل دخول عبد الرحمن اليها :

كانت الاندلس في تلك الفترة أي بعد (١٣٠هـ) تعج بالاضطرابات وتنازع القبائل العربية فيها . كانت الولاية فيها قد صفت ليوسف بن عبد الرحمن الفهري وهو واليها الاخير والصميل بن حاتم الكلبي الذي كان من زعماء جند قنسرين والذي قاد حرباً شعواء ضد الوالي ابي الخطار بن حسام الكلبي انتهت بمقتل الاخير وهزيمة مؤيديه من اليمنيين في معركة شقندة وبعد هذه المعركة لم يعد هناك منافس للصميل ويوسف اللذين كانا على خلاف ايضاً فيما بينهما اذا أستأثر الصميل بامور الحكم ولم يبق ليوسف الا الاسم فقط . حاول عبد الرحمن ان يستفيد من هذه الاحداث وقد ساعده على ذلك وجود العديد من الموالي والانصار للامويين خاصة في كورتي البيرة وجيان وهؤلاء يشكلون مجموعة الموالي الشاميين وكانوا يتألفون من حوالي (٥٠٠)رجل ومن زعمائهم ابو الحجاج يوسف بن بخت زعيم الموالي في جيان وابو عثمان عبيد الله بن عثمان وعبدالله بن خالد زعيما الموالي في جند دمشق في البيرة وقد تمتع هؤلاء الموالي بمكانة اقتصادية ونفوذ كبير

وهيبة قوية بين بقية المستقرين في الاندلس كما انهم خالطوا كبار القادة من الشاميين والبلديين فضلاً عن السكان المحليين وافراد الاسرة المالكة القوطية السابقة .

اتصل عبد الرحمن بمواليه في الاندلس طالباً منه مساعدته في اعادة السلطة الاموية اليها وانه لن يصبر خوفاً من حاكمها عبد الرحمن بن حبيب وانه بنتظر جواباً على رسالته اليهم وكان مولاه بدر قد عبر الاندلس اواخر عام (١٣٦هـ) والتقى بأبي عثمان الذي اتصل بالزعيمين الاخرين ونوقشت رسالة عبد الرحمن من قبل الزعماء الثلاثة وقرر الجميع ان محاولة عبد الرحمن تستحق الدعم مهما يكن من امر. فأن من اهم الاسباب التي دعت هؤلاء الزعماء للتعاون مع عبد الرحمن هي :

١- اعتقادهم بأن ذلك سوف يحقق لهم مكاسب كبيرة ويضعهم في مصاف الحاشية المقربة

للامير

٢ -ان نجاحه سيضمن بالتأكيد مصالح الموالي عامة وتملكهم للكثير من الضياع الممتازة

وتمتعهم بالمناصب الرفيعة في الحكومة الجديدة

مع ذلك قرر الجميع التريث وعرض الموضوع على الصميل بن حاتم شرط ان يكتم الامرعن يوسف الفهري وقد فضل الجميع اخفاء غرض عبدالرحمن الحقيقي من العبور والقول بأنه يريد المجيئ الى الاندلس بحثاً عن الحماية والامان واستعادة املاك جده هشام بن عبد الملك من الخمس وكان الصميل في هذه الاثناء محاصراً في سرقسطة من قبل بعض المجموعات العربية المتمردة .ولم يستطع يوسف مساعدته في فك الحصار بسبب ضعف موقفه في قرطبة فطلب المساعدة من جماعته وابناء جنده في قنسرين والبيرة وقد ساهم زعماء الموالي الثلاثة وهم كل من يوسف بن بخت وعبدالله بن عثمان وعبدالله بن خالد في فك الحصار بنجاح الخطة عرض زعماء الموالي الثلاثة ومعهم (بدر) الامر على الصميل الذي وعدهم بالتفكير في الامر ولم يلزم نفسه بشيئ قبل الوصول الى قرطبة وانتظر الجميع بضعة اشهر للالتقاء بالصميل من جديد . في هذه الاثناء كان يوسف الفهرييستعد لاخضاع التمرد في سرقسطة وقد بعث الى زعماء الموالي الثلاثة يطلب مساعدتهم فرفض هؤلاء مدعين عدم استطاعتهم ذلك بسبب المجاعة المستمرة في البلاد ولانهم سبق وان شاركوا في حملة انقاذ الصميل ورفض هؤلاء اخذ المبلغ الذي عرضه يوسف عليهم لتوزيعه على اتباعهم للمشاركة في الحملة نظراً لقلته ولكنهم بعد ان غادروا الوالي فكروا بالامر وعادوا لاخذ المال لاستخدامه في مساعدة عبد الرحمن الداخل واخذوا المال ووزعوا قسم منه على اتباعهم دون ان يطلبوا منهم الالتحاق بجيش يوسف واحتفظوا بالبقية لوقت الحاجة ولم يغادر زعماء الموالي ابا عثمان وعبد الله بن خالد الى (طليطلة) مع جنودهما كما وعدا يوسف بل بقيا لمقابلة الصميل لمعرفة رأيه النهائي في قضية عبد الرحمن وقد رحب الصميل بالامر وسألهما ان يكتبا له يدعوانه للعبور الى الاندلس لكن يبدوا ان لم يكن متأكداً من رأيه ولم يكن يعي خطورة الموقف ولذلك فقد غير رايه بعد خروج الزعيمين من عنده خوفاً على مركزه وما سيكون من امر القبائل العربية وقد ارسل الى الزعيمين يخبرهما بتغيير مواقفه وانه على استعداد لاعانة عبد الرحمن ان طلب غير السلطان والولاية لكنه سيكون اول من يحاربه ان نافسه على الولاية المشتركة بينه وبين يوسف بعد ان فشل زعماء الموالي بالاستغاثة بالصميل لمساعدة عبد الرحمن لم يكن امامهم الا الاتصال بجماعة اليمنيين والتنسيق معهم من اجل

مساعدة عبد الرحمن ولهذا فقد فاتحوا من يوثق به من زعماء اليمنيين ودعوهم الى تأييد مشروعهم بتحويل الحكم في الاندلس وقد كانت استجابة اليمنيين مشجعة جداً .

ويعود السبب في ذلك الى :

١ - ان اليمنيين ومنذ هزيمتهم في (شقنده) يتحينون الفرصة للانتصاف لانفسهم من الصميل ويوسف

٢- امتعاضهم من ادارة الصميل ويوسف المشتركة التي استهدفت تجريدهم من بعض ممتلكاتهم لصالح مؤيدي الصميل ،مهما يكن من امر . فقد استغل موالي بني امية نجاح الدعوة لعبد الرحمن فعجلوا بأرسال وفد اليه مستغلين فرصة انشغال الصميل ويوسف بالتمرد ومن دجانب اخر استطاع الصميل اقناع يوسف الفهري بضرورة التوجه فوراً لأخماد

التمرد في سرقسطة وقد تألف الوفد من (١١) عضواً يرافقهم (بدر) وعند وصول الوفد الى شمال افريقيا قدمهم (بدر) الى مولاه واخبره عن نجاحهم وبعد استرضاء بربر (مغيلة) الذي كان يقيم عندهم (الامير) ابحر الجميع الى الاندلس حيث وصل عبد الرحمن ومن معه عام (١٣٨هـ /٧٥٥م) وكان بانتظارهم كل من عبد الله بن خالد وابو عثمان اللذين استضافا الامير عندهم ولقد احدث وصول الامير الى الاندلس حركة نشيطة بين مؤيديه وتجمع انصاره من كل مكان وعندما علم يوسف الفهري ارسل الى عامله في البيرة يطلب منه ان يقبض على عبد الرحمن الا ان الاخير اجاب بأنه من الصعب القبض عليه لانه كان محمي من قبل جماعته وفي النهاية استطاع الصميل يوسف الفهري بضرورة التوجه فوراً لملاقاة عبد الرحمن الا ان جيش يوسف كان منهكاً بسبب حملة قام بها على بلاد البشكنس كماان معظمهم كان ساخطاً على يوسف والصميل لقتلهما الزعماء القرشيين المتمردين في سرقسطة ولذلك فقد غادر معظمهم المعسكر ولم يبق الا (١٠) رجال من جند اليمن وبقية الجيش من الشاميين وقد حاول هؤلاء تهوين الامر على يوسف واقناعه بالمضي الى قرطبة فوافق . لكن الصميل اصر على الذهاب لحرب عبد الرحمن الا ان الشتاء وهطول الامطار حال دون ذلك . وقد حاول يوسف فيما بعد ارسال وفد الى الامير يعرض عليه الثروة ومصاهرة الامير يوسف . وهناك اشارة الى ان الوفد عرض على عبد الرحمن ولاية منطقتين في البيرة ورية لكن هــذه المفاوضات فشلت .

استطاع عبد الرحمن ان يجمع الكثير من المؤيدين والانصار وقد قرر الامير وانصاره مغادرة كورة البيرة لعدم توفر مؤيدين كثيرين في هذه المنطقة والاتجاه الى الاجناد التي فيها اهل اليمن في ريه وشذونة ، وقد حصل الامير على النصرة والتأييد في كل من هذه المناطق من اليمنيين والبربر وحتى الشاميين واستقبله العديد من الزعماء اليمنيين والشاميين على حد سواء في اشبيلية ولقد زادت قوات عبد الرحمن على (٣٠٠٠) فارس وفي اثناء وجود الامير بذلك حتى غادر الى (قرطبة) بغية الاستيلاء عليها بشكل مفاجئ فلما علم يوسف والصميل بذلك شرعا فوراً بالعودة الى قرطبة وهكذا تقابل الجيشان في الطريق لايفصلها سوى نهر الوادي الكبير.

كانت مياه نهر الوادي الكبير اقصى ارتفاعها ولهذا لم يكن بامكان أي من الجيشين عبورالنهر وحاول عبد الرحمن اشعال النار في معسكره ليوهم يوسف انه مقيم في المعسكر ثم حاول تحت جنح الظلام ان يسير ويسبق يوسف الى قرطبة لكن خدعته اكتشفت ولحق به يوسف وجنده وكلما سار عبد الرحمن سار يوسف وكلما عسكر الاخر في الجهة المقابلة من النهر واخيراً عسكر يوسف في منطقة المصارة . وانتظر الفريقان (٣) ايام ركز في اثناءها عبد الرحمن على امرين :

١- انهاء الترتيبات الخاصة بتنظيم قواته وتعيين القادة على الفرق العسكرية المختلفة .

٢- مشكلة عبور النهر بدون التعرض الى خطر الهجوم من قبل الاعداء ولم يكون امامه الا الحيلة فأرسل الى يوسف يطلب منه التفاوض وانه موافق على شروطه ورجاه ان لايعارض في عبوره النهر . حتى يكون الطرفان جنباً الى جنب في المفاوضات ولقد جازت هذه الحيلة على يوسف فلم يعترض على عبور عبد الرحمن وجنده وما ان تحقق ذلك لعبد الرحمن حتى هاجم جيش يوسف على حين غره واضطره للقتال دون استعداد وتنظيم كاملين وقد نشبت المعركة بالقرب من (المصارة) ولم يمض وقت طويل حتى استطاع جيش عبد الرحمن ان يحقق نصراً عظيماً على جيش يوسف والصميل ذلك سنة ١٣٨هـ-٧٥٦م في حين فر يوسف هارباً الى طليطلة او البيرة.

وبعد انتصار عبد الرحمن استغلت بعض العناصر من جيشه الفرصة للقيام بأعمال نهب وسلب في مدينة قرطبة خاصة في اماكن سكن يوسف والصميل وممتلكاتهم وعند ما علم عبد الرحمن بذلك لم يوافق اذ امر بالكف عن مثل هذه الاعمال ولكن هذا الموقف لم يحظ بتأييد كل انصار (الامير) وقد اتهمه اليمنيون منهم بالتعصب لقبيلة قريش اما القادة العقلاء فقد اخفوا عدم موافقتهم وقبلوا بموقفه على الرغم من خيبة املهم فيه ويعود السبب في ذلك الى هدف اليمنيين الاول من تأييد هو الحصول على المزيد من المصالح والممتلكات نتيجة لتغير النظام ولكن موقف عبد الرحمن اثبت خطأ تقديراتهم من اجل ذلك فقد اراد بعض قادتهم تدبير انقلاب سريع ضد عبد الرحمن ومواليه والاستئثار بحكم الاندلس الا ان المؤامرة كشفت واتخذ عبد الرحمن اجراءات سريعة لحماية نفسة ودولته حيث انشأ جهاز للشرطة في عهده واختار حرسه الخاص من مواليه ويعد هذا التمرد الاول الذي قاده الزعماء اليمنيون ضد عبد الرحمن وكان ابو الصباح اليحصبي زعيم العرب في غرب الاندلس من اول الداعين له .

ومن ناحية اخرى فقد حاول كل من يوسف والصميل لم شتات جيشهما ومحاولة السيطرة على البلاد وبوصول هذه الانباء الى عبد الرحمن اسرع في السير اليهما قبل استفحال امرهما وقد حاول احد ابناء يوسف انتهاز فرصة غياب عبد الرحمن واحتلال قرطبة وقد نجح في ذلك فعلاً الا انه عاد وغادرها عند سماعه برجوع الاميرمكتفياً بأخذه لابي عثمان احد زعماء الموالي الذي استخلفه الامير على المدينة وقد اعاد عبد الرحمن تنظيم المدينة . مهما يكن من امر فأنه لم يمض وقت طويل حتى ادرك يوسف والصميل ان لاجدوى من المقاومة ففضلا الصلح مع عبد الرحمن وتم عقد اتفاق بين الطرفين سنة (١٤٠هـ -٧٥٧م) وتضمن اعتراف كل من يوسف والصميل بـ (عبد الرحمن) اميراً على الاندلس مقابل احتفاظهما بكل اموالهما واملاكهما واعلان العفو العام عن جميع انصارهما وقد اخذ عبد الرحمن اثنين من ابناء يوسف كرهينتين حتى تهدأ الامور كما تم تبادل الاسرى بين الطرفين .

على الرغم من عقد الصلح بين الطرفين الا ان الاوضاع لم تستقر بسبب نقمة الكثير من الاسر القرشية الذين خسروا من امتيازاتهم التي تحولت الى موالي الامير واقرباءه الذين جاءوا من المشرق ولذلك فقد حاولت تلك الجماعات تحريض يوسف للثورة على عبد الرحمن وحاول يوسف بدوره ان يستميل الصميل ليشاركه في ذلك فرفض الصميل وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع يوسف اغراء بعض الزعماء البلديين والبربر في (لقنت ، ماردة ، طليطلة) فثاروا في هذه النواحي عام (١٤١هـ -٧٥٨م) وحاول يوسف ان يستولي على اشبيلية ولكن لم يستطع بسبب قدوم جيش الامير الذي استطاع جيشه ان يهزم المتمردين في حين فر يوسف الذي قتل فيما بعد على يد احد رجال عبد الرحمن اما الصميل فقد اتهم بالاشتراك مع يوسف ذلك بسبب مشاركة احد ابناء الصميل بالثورة ولم يصدق عبد الرحمن انه لم يشترك في التمرد وقتله فيما بعد هكذا استطاع عبد الرحمن ان يستقل بالحكم ويأسس امارة اموية مستقلة حكمت الاندلس نحو (٣) قرون .